مجلة الناصرية للدراسات الاجتماعية والتاريخية
ISSN: 2170-1822, **EISSN:** 2600-6189
مجلد: 15 عدد 01 جوان 2024
العنوان: **مأسسة سياقات أنثروبولوجيا الاتصال** ص.ص 195-203.

مأسسة سياقات أنثروبولوجيا الاتصال

بوحلوان عبد الغاني

abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz[1]

تاريخ الإرسال: 31/ 12/ 2023 ؛ تاريخ القبول: 02/ 02/ 2024

Institutionalizing the contexts of communication anthropology

Abstract:.The institutionalization of concepts requires a structure closely related to the work of researchers about everyday living with the aim of setting limits and perceptions of the concept, as is the case with the interest of anthropologists Dell Hymes in the concept of communication in its various manifestations based on speech, features, written...etc., as we discuss in this research paper. The issue of adopting a method of opening cognitive fields to each other for the purpose of understanding and interpreting the communication phenomenon.

Gilles Deleuze talks about constructing concepts and says that the concept is similar to the making of objects, meaning that the process of constructing it forms and constructs. Therefore, when talking about the communicative structure, its presence, and its institutionalization in light of the social and cultural element of societies, we are documenting a building for the continuity of communicative action.

Keywords: institutionalization; contexts; Eames Dell; Anthropology of communication

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

الملخص:

تحتاج مأسسة المفاهيم إلى بناء وثيق الصلة بأعمال باحثين حول اليومي المعيش بهدف وضع حدود وتصورات للمفهوم مثلما هو الأمر بالنسبة لاهتمام الأنثروبولوجيين كايمس دال (Dell Hymes) بمفهوم الاتصال بمختلف تمظهراته انطلاقا من الكلام والملامح والمكتوب ....الخ، كما نناقش في هذه الورقة البحثية مألة اعتماد أسلوب انفتاح الحقول المعرفية على بعضها البعض بغرض فهم وتفسير الظاهرة الاتصالية.

يتحدث جيل دولوز (Gilles Deleuze) حول بناء المفاهيم ويقول بأن المفهوم يشبه صناعة المجسمات أي أن عملية بناءه تشكل وتشيد وبالتالي عند الحديث عن البنية الاتصالية وحضورها ومأسستها في ظل العنصر الاجتماعي والثقافي للمجتمعات فنحن نوثق لبناء لاستمرارية الفعل الاتصالي.

الكلمات المفتاحية: مأسسة؛ سياقات؛ ايمس دال؛ أنثروبولوجيا الاتصال.

مقدمة:

أشارت الكثير من الدراسات في الحقول الاجتماعية والإنسانية لا على سبيل الحصر علم الاجتماع وعلوم الإعلام والاتصال بغية وضع تعريف لمتغير الاتصال كمحور لاستمرار الفعل الاجتماعي ومؤسسا له، إضافة إلى اعتباره ذلك التواصل بين المرسل والمستقبل باستعمال رسالة تمر عبر قناة وفي خضم هذه الرؤى، نرى أن من الضروري والجدي التفكير بعيدا عن هذا التقليد النظري ومحاولة تحقيق فهم للظاهرة الاتصالية في سياق أنثروبولوجي أيضا.

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

تثير ورقتنا البحثية بالدرجة الأولى تساؤلات نظرية لمنح متغير الاتصال نفس آخر بعيد عن الكلاسيكيات المعروفة في حقل علوم الإعلام والاتصال، وبالتزامن مع العرض الأنثروبولوجي مما يتبح لنا موضعه المقال في أسئلة نطرحها كالآتي:

1. كيف نفهم الاتصال أنثروبولوجيا ؟
2. ما هي الأطر النظرية لبناء حقل أنثروبولوجيا الاتصال ؟
3. هل نحن فعلا نؤسس لفكرة انفتاح الحقول المعرفية على بعضها البعض خاصة السوسيولوجية والأنثروبولوجية خلال دراسة الظاهرة الاتصالية ؟

يؤسس الفعل الاتصالي للفعل الثقافي والاجتماعي في المجتمع لذلك تعتبر هذه العناصر موضوعا مهما للأنثروبولوجيا فقد " قدم الفيلسوف جون ديوي (John Dewey) معادلة لثنائية المجتمع والاتصال في مقال مشهور صدر سنة 1916 بعنوان الديمقراطية والتربية، أكد فيه على أن المجتمع لا يتشكل وجوده عبر التواصل وعبر الاتصال فحسب بل ويمكننا القول وبكل ثقة وثبات أن المجتمع يستمر وجوده في التواصل **وفي الاتصال"** (بوجمعة رضوان، 2006\2007: 62)، وعلى هذا الأساس لا يمكن الحديث عن تشكل مجتمع في غياب بنية اتصالية تضمن ديمومة الفعل الاجتماعي والثقافي للمجتمعات، كما أن الأنا لا يتحقق ولا يحقق ذاته إلا من خلال الأخر هذه الفكرة ذات البعد الفلسفي تؤكد على أن ما يضمن تحقيق الكينونة هو الاتصال ومعرفة الآخر وفي غيا ب هذه المعادلة يغيب الفعل بتجلياته.

يحمل اليومي المعاش معاني ودلالات نلاحظها في ممارسات الفاعل الاجتماعي من إنتاج وإعادة إنتاج الفعل، وذلك حسب المخيال الاجتماعي الذي يحمله الفاعل الذي يحرص ويصر على إثبات وجوده من خلال تشكيل أنماط اتصالية تتراوح بين الكلام والكتابة والحركة حيث يقوم بفرضها داخل المجتمع، ويمنحها شرعية تستمد قوتها من

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

الجماعة وبالتالي كل " السلوكات والوضعيات والأشياء الموجودة عند جماعة معينة تتضمن قيمة **اتصالية"(راشدي وردية،198:2018-199**)من الضروري فهم الفعل الاتصالي في ثنائية الممارسة الجماعية والفردية، فلا يمكن تحقق البناء الاجتماعي بدون الاتصال كمرتكز تأسيسي بنائي.

التأسيس النظري لأنثروبولوجيا الاتصال:

ارتبط ظهور حقل الأنثروبولوجيا الاتصال بشكل تأسيسي بأعمال الباحث الأنثروبولوجي الأمريكي ايمس دال (Dell Hymes)، كما تستمد أنثروبولوجيا الاتصال قاعدتها النظرية من أعمال قوفمان(Goffma) (أنظر التعليق رقم 1)، و بيرد ويستل (Bird Whestell)بالإضافة إلى وينكن (Winkin)

بالإضافة أيضا إلى أعمال جورج هربرت ميد (George Herbert Mead) وشارل كولي(Charles Cooley) حول الفرد والمجتمع، ونستحضر هنا موقف شارل كولي من مفهوم التواصل ليصفه بالميكانيزم الذي يؤسس للعلاقات الإنسانية والتي تبنى من خلال الرموز الحاضرة في المتخيل الجمعي.

نلاحظ بشكل قريب جدا استعمالات علم الاجتماع في فهم الظاهرة الاتصالية باعتبارها نسقا تفاعليا ينتج الرمز والمعنى والسياق وهذا ما يضعنا أمام البناء النظري و المفاهيمي للتفاعلية الرمزية. ولرفع اللبس حول اعتبار الاتصال معطى انثروبولوجي نوضح اهتمام ايمس دال سنة 1964 بأبعاد ومؤشرات متغير الاتصال من تجليات اللغة والكلام والاشارات."تأسست سنة 1966 بجامعة (Pennsylvania) بالولايات المتحدة الأمريكية مجموعة عمل بقيادة ايمس دال للقيام بدراسة حول دور الكلام في مجتمعات مختلفة" (بوجمعة رضوان،2006\2007:

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

95)، المعطى الميداني البحثي ارتكز على الاثنوغرافيا للوصول الى وضعية مقارنة للسلوكيات اللفظية، و إذا تحدثنا عن معطى الشفاه فإننا أمام وضعية اثنوغرافية بامتياز كما أن التأسيس لبناء نظري حول متغير الكلام يجعلنا بحاجة ماسة إلى استخدام أكثر من حقلين لفهم الظاهرة مرورا باللسانيات والاثنوغرافيا والسوسيولوجيا وحتى السيميولوجيا استنادا على أعمال الباحث بريطو (Prieto) حول الدال والمدلول والقصد وكيف ربط هذه العناصر بما سماه الوظيفة التواصلية.

محاولة ايمس دال لوضع نموذج لتحليل الاتصال كمعطى أنثروبولوجي حيث ركز على الكلام كمحور للفل الثقافي والاجتماعي وبالتالي قام ببناء نموذج Speaking يتكون من:

1. السياق: Setting حدد في المكان ووقت وأجواء الاتصال يقصد هنا الظروف الفيزيائية التي تتم فيها عملية الاتصال إضافة إلى الشروط الإجرائية لانطلاق تشكل البنية الاتصالية.
2. المشاركون: Participants كل المشاركون سواء أكانوا قد أخذوا الكلمة أو لا، وهنا دور الفاعل الاجتماعي في بناء نموذج حواري فهو من ينتج الرمز والمعنى ويعطي لكل دال مدلوله.
3. الغايات: Ends يقصد به هدف ونتائج اللقاء هنا الغرض من الاتصال حسب الأهداف المعلنة والمراد تحقيقها.
4. الأفعال أو المنتوج: Acts يقصد به الرسائل في حد ذاتها على مستوى الموضوع أو الشكل. تؤسس هذه الفكرة إلى أن الرسالة هي الوسيلة.
5. النبرة: Keys يقصد بها نبرات الاتصال يحيلنا هذا العنصر الى الشدة في مخارج الحروف والتنوين إلى غير ولذلك قلنا سابقا أن أطروحات ايميس دال تحتوي على استعمالات حقول معرفية خارج الأنثروبولوجيا إلى اللسانيات عند الحديث عن نبرة القائم بالاتصال.

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

6. الوسائل والأدوات: يقصد بها وسائل الاتصال وتتضمن الوسائط والقنوات، اللغة المنطوقة، المغناة، المكتوب .... الخ، كل ما يعبر به الفاعل الاجتماعي من أحاسيس وأفكار وشعور ينتجها على شكل بنية اتصالية.
7. المعايير: معايير التفاعل التي تضبط أخذ الكلمة وتوزيعها كما أنها قواعد ومعايير التأويل التي تأخذ بعين الاعتبار الخلفيات والاختلافات الاجتماعية والثقافية، يتعلق هذا السياق بما هو متفق عليه في المخيال الاجتماعي للفاعلين الاجتماعيين كما أن يتعلق أيضا بما تتفق حوله الجماعة من معاني ورموز .
8. الأنواع: أنواع وأنماط الخطابات.

نحتاج لدراسة الظاهرة الاتصالية استعمالات معرفية مختلفة البناء لكن يجب التنويه على ضرورة احترام الفواصل الابستمولوجية خلال الاستعانة بمختلف الحقول المعرفية في التأسيس لفهم وتفسير سياقات الاتصال، خلال تناول موضوع الورقة البحثية نريد التأسيس أيضا لما يعرف بالبنية الاتصالية التي نرى أنها كل ما له صلة بممارسات الفاعل الاجتماعي وإنتاجه جل المعاني والرموز والمتعارف عليه بين الجماعة هذا الأخير يشكل فعلا اتصاليا متجددا ويحمل قواعد متفق عليها.

لماذا الاتصال ظاهرة أنثروبولوجية؟

تشكل المجتمعات البشرية من زاوية أنثروبولوجية تتعلق بنمط مباشر بمفهوم الملكية وهذا في إطار ما وصفه الباحثين الأنثروبولوجيين أمثال تايلور(Edward Tylor) وماكلينان (John Ferguson Mclennan) ومورجان (Lewis H. Morgan)، ففي مرحلة معينة اتخذ موقف من طرف أفراد المجتمع البدائي بوضع سياج حول المكان الذي يعيشون فيه حيث "يشغل أفراد المجتمعات المحلية التي تتكون منها القبيلة قطعة أرض مشتركة ويتكلمون لغة واحدة ويطبقون أنماط حضارية مشتركة ويترتب على ذلك سهولة التفاعل

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

الاجتماعي بين أعضاء القبيلة الواحدة"(وصفي عاطف،د س: 113)، لذلك وجب توثيق دور الاتصال كبنية ثقافية واجتماعية تسمح للفاعلين بالتفاوض والحفاظ على مبدأ العيش من خلال حماية الأنا من الأخر وكذا التعايش.

لا يتحقق هذا الأخير بدون تنبني شكل من أشكال البنية الاتصالية، التي نعتقد أنها تتكون من الفاعل الاجتماعي كمحور للعمليات الاجتماعية والثقافية والسياسية كما تتكون أيضا من نسق الرموز والإشارات وما تم الاتفاق عليه وفق فهم مشترك، حيث يطرح جون ديوي حول " معادلة لثنائية المجتمع والاتصال في مقال مشهور سنة 1916 بعنوان الديمقراطية والتربية حيث أكد فيه على أن المجتمع لا يتشكل وجوده عبر التواصل وعبر الاتصال فحسب بل ويمكننا القول وبكل ثقة وثبات أن المجتمع يستمر وجوده في التواصل وفي الاتصال." (بوجمعة رضوان، 2006\2007: 62) فالاتصال هو الطريقة التي تتمكن عبرها التجمعات من أن تجد أشياء مشتركة حتى تعيش سويا وبالتالي تحتاج الجماعات إلى أنماط اتصالية لبناء علاقات اجتماعية تنتج لنا بنية اتصالية ذات معنى.

أساس تشكل المجتمع هو الاتفاق على سياق محدد لتواصل الفاعلين الاجتماعيين من خلال العناصر المشتركة التي تؤسس فيما بعد إلى بناء مخيال اجتماعي (أنظر التعليق رقم 2) وثقافي يعبر عن الاهتمام المشترك للقضايا المتصلة بالجماعة، كما أن متغير الاتصال لا يخلوا من الفهم الفلسفي وهنا نقصد مسألة الأنا و الآخر حيث لا يمكن للأنا معرفة ذاتها وبنائها في غياب الآخر السائل والمثير فبخصوص هذا العرض يقول جورجن روش "أن الإنسان لا يدرك العالم عن طريق التفاعل والاتصال فحسب ، بل يشكل هذا الاتصال أساسا لتنظيم محيطه"(بوجمعة رضوان، 2013: 184)، فالآخر لا يمكنه النجاح في

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

تحقيق ذاته في غياب الأنا هذه العلاقة الفسيفسائية تنتج لنا بنيات اتصالية مستمرة.

المعطى الميداني الأنثروبولوجي الذي يصف لنا كيفية بناء نسق لغوي لتواصل المجتمع البدائي وتشكل سلطة السياسي والاقتصادي والديني والثقافي لا يخلوا من الاتصال أو ما نسميه البنية الاتصالية التي تتجسد في فاعل اجتماعي ونسق دلالي وفعل مستمر غير منقطع حيث منح الاتصال الفرصة مع تحول الأنساق الدلالية من المجتمع البدائي كمحطة أولية طبيعية إلى المجتمع الحديث فوسائل التواصل "هي اليوم ْ النحو التاريخيْ ْ لكيفية تعاملنا مع ما هو بعيد عنا، إن وسائل التواصل تجعل المبعد يظهر وحرفيا هي تجعله مرئيا: إنها تستبعد المكان، إن وسائل التواصل تحول الأمور إلى ظهورات وفاعليتها التواصلية تستند إلى جعل الأشياء قابلة للإدراك من خلال تحويلها إلى أمور محسوسة" (أبي يعرب المرزوقي، 2009: 269)، الاستمرارية تشكلها وسيلة التواصل في ظل العيش المشترك الذي يؤسسه الإدراك الجمعي.

الخاتمة:

لم تبقى الأنثروبولوجيا حبيسة دراسات المجتمع البدائي بل انفتحت على مواضيع في اليومي المعيش واحتكت باهتمامات السوسيولوجيا لتصبح حقلا يهتم بالكلام والشفاه والحركات كظواهر ذات أبعاد اجتماعية وثقافية تؤسس للفعل الاتصالي الذي نرى أنه ومن المهم والضروري إخراج المفهوم عن الكلاسيكيات التي تحصره بين رسالة ومرسل ومتلقي ولنحقق هذه الوضعية يجب التأسيس لانفتاح الحقول المعرفية على بعضها البعض.

تحتاج المفاهيم إلى ترسانة منهجية ومعرفية لتوضيحها وفهمها في اطارها المعلوم المتمثل في مجتمع البحث.

المؤلف المراسل: بوحلوان عبد الغاني
abdelghani.bouhalouane@univ-mascara.dz

تعليق رقم 1 : من الضروري قراءة عمل قوفمان حول مفهوم التواصل الذي اهتم به من خلال التحضير للدكتوراه سنة 1953 بعنوان إدارة التواصل في مجتمع جزيري..... أنظر أكثر : أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث كما يرجى القراءة لبيرد وستل أيضا.

تعليق رقم 2: يرجى الاطلاع على أفكار رايت ميلز حول مفهوم المخيال الاجتماعي.

المراجع:

- أبي يعرب المرزوقي،(2009). علم الأناسة: التاريخ والثقافة والفلسفة، د ط. الإمارات العربية المتحدة: الدار المتوسطية للنشر.

- بوجمعة رضوان، (2013). <<انثربولوجيا الاتصال>>: دراسة في بعض الأبعاد النظرية. المجلة العلمية، جامعة الجزائر3، العدد الأول، ص.ص190-175.

- بوجمعة رضوان، (2006\2007). أشكال الاتصال التقليدية في منطقة القبائل محاولة تحليل أنثروبولوجي.رسالة دكتوراه\ غير منشورة لنيل شهادة دكتوراه دولة في (علوم الإعلام والاتصال)، جامعة الجزائر 3، الجزائر.

- راشدي وردية،(2018). <<الأسس النظرية والاجراءات المنهجية لأنثروبولوجيا الاتصال>>. مجلة الباحث في العلوم الانسانية والاجتماعية، جامعة الشهيد حمه لخضر بالوادي، العدد 12،ص.ص 205-188.

- وصفي عاطف، (د س). الأنثروبولوجيا الاجتماعية، د ط.بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنشر